نظرات

في ديوان الشاعر خير الدين الزركلي

عرض الاستاذ **عبدالله بن سعد الرويشد**

كان خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ـ بكسر الزاى والراء ـ والمولود في ٩ ذى الحجة عام ١٣١٠هـ والمتوفي عام ١٣٩٦هجرية الموافق ٢٥ يونيه عام ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦ ميلادية من الاعلام الذين أنجبتهم دمشق الفيحاء، والعروبة الزهراء، والحنيفية السمحاء في العصر الحديث وهو كردي النسب، والاكراد في البلاد العربية والإسلامية جميعهم سنيون متمسكون بعقيدتهم.

لقد كان شاعرا ـ مؤرخا ـ مترجما ـ مؤلفا ـ أديبا ومحققا، فهو ابن الوطن العربي الكبير، وابن الإسلام الخالد العظيم.. ولد في بيروت من أبوين دمشقيين، ونشأ وعاش في وطنه دمشق، حتى فوجىء بالاحتلال الفرنسي لبلاده في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٩٢٠م، فوقف مع المجاهدين الاحرار صلب العود قوى الوطنية، وحكم عليه الاحتلال بالاعدام غيابيا آنذاك.. وكان الزركلي قد قصد الحجاز، وتنقل بينه وبين الأردن ومصر. ولما هب السوريون لتحرير وطنهم من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٢٥م كان اسمه في القائمة السوداء وحكم عليه للمرة الثانية بالإعدام عام ١٩٢٥م لأنه كان من القوى المحركة للثورة ضد المستعمر الغاشم المحتل.

وفي عام **١٩٣٤م** دعاه الملك عبدالعزيز ليكون مستشارا للمفوضية العربية السعودية بمصر، فانتقل اليها.. وعاش في ظلال النيل للقراءة والكتابة والتأليف، وكان أحد

المندوبين السعوديين في المفاوضات التمهيدية التي جرت لأنشاء جامعة الدول العربية، وفي التوقيع على ميثاقها عام **١٩٤٥م**.. وعمل بوزارة الخارجية السعودية، ومثل الحكومة السعودية في العديد من المؤتمرات والاجتماعات والمفاوضات الدولية، واختير عام **١٩٥١م** وزيرا مفوضا ومندوبا دائما للحكومة السعودية لدى جامعة الدول العربية. وفي عام **١٩٥٧م** عين سفيرا للمملكة في الرباط لدى حكومة المملكة المغربية، وفي عام **١٩٦٥م** عاد إلى الرياض حيث تنقل بينها وبين بيروت ودمشق والقاهرة، وأخرج كتبه ١ = الاعلام، « أربعة عشر جزءا»، ٢ == شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، « أربعة أجزاء »، ٣ = الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ٤ = عامان في عمان، ٥ = ما رأيت وما سمعت، وغيرها من خوالد مؤلفاته.

وبين يديّ الآن الطبعة الكاملة من ديوان الزركلي الذي نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت عام **١٤٠٠هـ/١٩٨٠م**، وهو يضم كل شعره الذي طالما تغنت به الامة العربية والإسلامية في كفاحها ضد الاستعمار والاحتلال والعهود السوداء في تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الحديث.

واليوم، وبمناسبة مرور ثمانية أعوام على وفاة الشاعر (خير الدين الزركلي) أكتب هذه الكلمة، وفاءا وتقديرا وإكبار لشاعرية الرجل وشعره.

لا شك أن غربة الشاعر عن وطنه هي احدى السمات البارزة في شعر الشاعر وفي شاعريته، والحنين إلى الوطن، وتمجيد عروبته ووطنيته، وتكريم مواقفه في النضال والعمل من أجل الحرية والاستقلال.. ذلك كله ظاهرة من الظواهر البارزة في الديوان.

واذا قرأنا قصيدته نجوى، التي صدر بها الديوان.. عرفنا كيف كان الشاعر يعيش بقلبه وروحه ومشاعره وعواطفه في وطنه ومع وطنه في كل لحظة.. وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

العين بعد فراقها الوطنا   لا ساكنا ألفت ولا سكنا
ليت الذين أحبهم علموا   وهمو هناك ما لقيت هنا

ما كنت أحسبني مفارقهم   حتى تفارق روحي البدنا
يا موطنا عبث الزمان به   من ذا الذي أغرى بك الزمنا
قد كان لي بك عن سواك غنى   لا كان لي بسواك عنكْ غنى
ان الغريب معذب أبدا   ان حل لم ينعم وان ظعنا

وفي الثورة السورية الكبرى عام **١٩٢٥م** ضد الاحتلال الفرنسي يقول الزركلي عن الاحتلال :

ساس بالظلم عتاة أمة   فزمجرت وانفجرت
حملت ما لم تطقه من آذى   فزأرت واستعرت
وبدا مشعلها، خط عليه الابد   انه الثائر لا يقوى عليه أحد

وفي وطنه سوريا يقول الشاعر :

سورية نحن لها   نحمى حماها أبدا
نبنى لها صرح الحيا   ة فوق هامات العدا

وهو مطلع نشيد وطني رائع جميل .

ويرثي الشاعر الشهيد رفيق العظم أحد شهداء سورية في معركة ميسلون بقصيدة رائعة يقول في ختامها :

أدى رفيق حق أوطانه   وعلمه، فأحسن التأدية

وفي معركة ميسلون يقول الشاعر قصيدته « الفاجعة » عام **١٩٢٠م** والتي مطلعها :

الله للحدثان كيف تكيد   بردى يفيض وقاسيون يميد

وفيها يقول :

أنا في هواك كما يشاء هواك لي   كلف بحبك يا دمشق ودود
خدعوك يا أم الحضارة فارتمت   تجنى عليك فيالق وجنود

قرآن أحمد ان بكاك فقد رثى   لك قبله الانجيل والتلمود
والشعب ان عرف الحياة فما له   عن درك أسباب الحياة محيد

ويكتب إلى الامير عادل أرسلان قصيدة وطنية ثائرة وذلك عام **١٩٢٧م** يقول فيها واصفا حال وطنه وثورته ضد الاستعمار الاثيم :

سورية قد أجمع البادى بها والحاضر
وفي سبيل مجدها دم أريق طاهر
ان هدموا عمرانها، فكل قلب عامر

ولا يقل حبه للمملكة العربية السعودية عن حبه لوطنه العربي الأبي سورية، فلقد عاش انتصارات جلالة الملك عبدالعزيز في توحيد مملكته، وشاهد أمجاده ومآثره ومفاخره، لأنه عاش قريبا منه. يقول في حفلة أقيمت بمكة المكرمة في شعبان من عام **١٣٤٨هـ**/يناير **١٩٣٠م**، يحيى العهد الجديد والحكم السعودي المجيد، والملك العظيم عبدالعزيز :

يا نفس بلغت قصدا   وعاد أمرك جدا
دعا الحجاز ونجدا   داعي الحياة فجدا
وأقبلا والاماني   تلوح يمنا وسعدا
الخيل في الامن ترعى   والابل بالشوق تحدى

وعندما دخل الملك عبدالعزيز آل سعود مكة المكرمة كتب قصيدته المشهورة قال فيها :

صبر العظيم على العظيم   جبار زمزم والحطيم
ان القضاء اذا تسلـ   ـط ضاع فيه حجى الحكيم

وفي حفلة أقيمت بمكة ابتهاجا بنجاة الملك عبدالعزيز آل سعود من ثلاثة متآمرين يمانيين أرادوا اغتياله بجوار الكعبة، صبيحة اليوم الاول من عيد الاضحى المبارك عام ١٩٣٥م كتب الشاعر قصيدة يقول فيها :

ليست خناجر في أيدى الآلى اجترموا   تلكم مفاتيح غمدان بها قدموا
ضل الجناة سبيل النيل من ملك   لولاه ماصين بيت الله والحرم
عبدالعزيز الامام الحق تكلؤه   عين من الله لا جند ولا حشم

وفي القصيدة يقول الشاعر :

وقى سعود فتى الفتيان خير أب   فردها طعنة نجلاء تخترم
.عبدالعزيز وقاك الله فتنتهم   ولا يزل لك فينا البر والعلم
عش للعروبة والإسلام معتصما   فإنما بك بعد الله يعتصم

وظل الشاعر وفيا لوطن الإسلام، ومهد القرآن، وفاءه لوطنه الأول.

توفي الملك البطل عبدالعزيز آل سعود رحمه الله فيرثيه الشاعر بقصيدته :

عبدالعزيز قضى، سَلمتَ سعودُ   ما في الرجال كمن فقدت فقيد
جبل أشم هوى وغيب في الثرى   أحد طوى هضباته أخدود
دهر من التاريخ في عمر امرىء   قصرت حياة الدهر وهو مديد
تتناقل الدنيا حديثا بعده   تتقادم الاجيال وهو جديد
عرش بناه على النضال عماده   ودعامة الايمان والتسديد
ما نام عنه مؤسساً ومنظماً   ستين حولا يبتني ويشيد
ضم القلوب موحدا أشتاتها   لله ثم لشعبه التوحيد

وتمر الايام ويتولى الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله العرش، فيقول في يوم تتويجه :

لفيصل التاج معقوداً به الامل   ويوم فيصل في أيامنا جلل
شعب الجزيرة من أقصى تهائمها   إلى النجود سعى بالبشر يحتفل
تباشر الناس لما قام فيصلها   مملكا وأنت بالبيعة الرسل
ولو مشى الصخر من سهل إلى جبل   لجاء بالتهنئات السهل والجبل

وتمر الايام وتقع الفاجعة حقا، وتغتال فيصل بن عبدالعزيز يد آثمة، فيقول الشاعر في رثائه :

تلفت الغرب والإسلام واضطربا   ما للبرية هل شدت بزلزال
يدعون فيصل والايام ماضية   بفيصل بين أحقاب وأجيال
من مثله كان كشافا لمعضلة   من مثله كان حلالا لإشكال
نوديت (خالد) فانهض غير متئد   تسنم العرش محفوفا بأشبال
على يمينك فهد في غطارفه   من شم آل سعود ذروة الآل
سيرا على اسم الذي أولى اخاء كما   قيادة العرب في حل وترحال

أما شعر الشاعر في الحكمة وفي الغزل وفي العروبة، وفي مختلف جوانب الفكر والحياة، فهو في جملته شعر أصيل عذب يفيض رقة وعذوبة وجمالا وجلالا ؛ لأن صاحبه كان شاعرا وعاش شاعرا، وغنى بالشعر كل آماله وأحلامه في الحياة.

ولا ننسى قصائده في ثورة الجزائر وفي فلسطين وفي كل الاحداث في المملكة المغربية، وفي مصر، وفي لبنان.. وفي الاردن، وفي سائر الوطن العربي الكبير.

كما لا ننسى اخوانياته، ومراثيه لأصدقائه، وكل ما كان ينبض به قلبه من مشاعر وعواطف وأحلام وآلام.

تحية للشاعر الكبير خير الدين الزركلي، وتحية لشعره وشاعريته، وتحية لديوانه، في العام الثامن لوفاته، من ابن من أبناء المملكة العربية السعودية ينوب عنها في تقديم واجب الوفاء لشاعر خدم بلادنا ونهضتنا وآزر كل تقدم وازدهار في وطننا الحبيب.